هل من مجتمع؟

يتضح لنا ان خير مجتمع ما يعتمد على المتوسطي الحال. وان الدول التي يتاح لها أن تحسن السياسة، هي التي تكثر فيها الطبقة الوسطى، وتقوى فيها خصوصا تلك الطبقة على الطبقتين الأخريين، أو أقلّه على كل منهما. ذلك انها إذا انحازت الى احداهما أرجحت كفّتها، وحالت دون تفوّق احدى الطبقتين المتناطحتين. ولذلك، ان أعظم يمن لدولة هو أن يحرز اتباعها ثروة معتدلة كافية. إذ حيثما أحرز البعض خيرات جد وافرة، ولم يصب البعض الآخر شيئا يذكر منها، قام هنالك أحط نوع من الحكم الشعبي، أو حكم أقلية صرف، أو -بسبب كلا الشططين- نشأ حكم طغياني، إذ ينشأ الطغيان عن حكم شعبي في منتهى التطرف، أو ينشأ عن حكم الأقلية. وأما عن الأحكام المعتدلة وما داناها، فلا ينشأ الطغيان إلّا في حالات أندر بكثير.

جليّ ان خير السياسات هي السياسة المعتدلة، أي السياسة التي تعتمد على الطبقة الوسطى، بقطع النظر عن وجه الحكم فيها، أكان حكما شعبيا أم حكم أقلّية أم حكم أعيان أم حكم «سياسة».

وضع بلادنا غريب عجيب...عاشت فيها الطبقات كلها في الغالب على أسس قبلية طائفية وكان معظم الحكام ممسوكين من الخارج أكثر منهم ممسكين بزمام الأمور، ولم يتحمّل وطن الأرز الصغير الحجم الجغرافي، الخطير في موقعه الجيو-سياسي، تعددية اتضحت كبيرة، سطحية وموسمية... وكان لا بد من أن يتضح ان صحة وطن-الرسالة هي ورم خبيث تلاشت فيه الطبقة الوسطى وتلاشت معها مقومات الدولة أو كادت...

رأيي في أفضل الأحكام على وجه الإطلاق في وطننا المأزوم، ليس في أيدي أحد، ما لم نقم بثورة ثقافية أولا، توضح جوهر الوطن وثوابت مواصفات أبنائه الرئيسة.

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه